الحروب غير المتكافئة
تجربة أولي البأس نموذجًا

فهرس المحتويات

- **مقدمة**
- **من تقديم كتاب "محور المقاومة" (دانييل سوبلمان)**
- **أولًا، ملخّص الإطار العام النظري لـ "الاستراتيجية غير المتكافئة"**
- **ثانيًا، الإطار العملي لنهج "الاستراتيجية غير المتكافئة" لدى حزب الله خلال جبهة الإسناد**
- **ثالثًا، كيف تفاعلت الاستراتيجية غير المتكافئة في حرب أيلول على لبنان؟**
- **خلاصة**

مقدمة

تتوزع القدرات العسكرية وغيرها بشكل غير متوازٍ في حالات الردع غير المتكافئ، ما يرجّح معه نجاح الردع، فالردع غير المتكافئ مداره طرفين أحدهما أقوى من الآخر، يلجأ الطرف الأضعف إلى استراتيجية الردع غير المتكافئ حتى يحقق الردع. ويشير الردع غير المتكافئ إلى حالة "يفكر فيها أحد الطرفين بجدية في شن هجوم، بينما يُصعّد الطرف الآخر تهديده لمنعه". تستخدم استراتيجية الردع غير المتكافئ وسائل وأساليب غير متوقعة لتحييد نقاط قوة الخصم واستغلال نقاط ضعفه لمنع الطرف الآخر من الرد. يُمثَّل ردع المُتحدِّي من قبل المُدافع بربط صريح بين عدم اليقين ومصداقية التهديدات الانتقامية واستقرار علاقة الردع غير المُتكافئة.

ويشكّل كتاب دانييل سوبلمان (Sobelman) الجديد مرجعًا حول الاستراتيجية، وعنوانه: *Axis of Resistance: Asymmetric Deterrence and Rules of the Game in Contemporary Middle East Conflicts*. وعلى الرغم من أن الكتاب تحوّل للطباعة في أواخر العام 2024، تموز 2024 حسب تأريخ مقدمة الكاتب، أي خلال معركة الإسناد لكن قبل معركة "أولي البأس"، وكذلك تركيز فصول الكتاب على الأحداث التي سبقت حرب إسرائيل وحماس، إلا أن الكتاب مرجع تحليلي لآليات عمل كل أطراف المحور في تطبيق الاستراتيجية. والملفت أن الكاتب أشار في خاتمة المقدمة إلى أن بعض مواضيع الكتاب التجريبية ستُعتبر الآن سردًا تاريخيًا بصيغة الماضي، لكنه يلفت النظر إلى أنها "تُشكل موردًا هامًا للتطورات المتغيرة في المنطقة. كما ستُشكل مرجعًا تحليليًا مفيدًا يُمكّن القراء والباحثين المستقبليين من تقييم تطور الصراع ونتائجه النهائية".

تشرّح هذه الورقة أول فصلين من الكتاب: الفصل الأول وعنوانه "منطق قواعد اللعبة غير المتكافئة"، والفصل الثاني الخاص بمواجهة المقاومة للكيان المؤقت في جنوب لبنان. وترتكز الورقة على هذين الفصلين في مضمون أول عنوانين منها: الأول يعرض الإطار النظري والمفاهيمي للاستراتيجية؛ والعنوان الثاني هو الإطار العملي لنهج "الاستراتيجية غير المتكافئة" لدى حزب الله بخصوص جبهة الإسناد حصرًا. يشكّل هذان العنوانان ركيزة عمل الورقة في مناقشة المتغيّرات التي لحقت بالاستراتيجية وتداعياتها خلال معركة "أولي البأس". وعليه، تحلّل الورقة في العنوان الثالث منها التغيّر في ديناميكية المواجهة بين الكيان المؤقّت وحزب الله وتأثيره على الاستراتيجية في معركة "أولي البأس" بالاستناد إلى ما أسّس له سوبلمان قبل المعركة، وتتوقف عند محطتين: الأولى آليات عمل العدو في مواجهة معركة "أولي البأس"، والثانية آليات عمل المقاومة مع "سهام الشمال".

من تقديم كتاب "محور المقاومة" (دانييل سوبلمان)

من الصراع بين الولايات المتحدة والميليشيات المدعومة من إيران في العراق وسوريا، إلى الحرب الأخيرة بين إسرائيل وحماس في قطاع غزة، تعكس أحداث الشرق الأوسط اليوم ظهور ما يُعرف بـ "محور المقاومة" بقيادة إيران. هذا المحور، وهو شبكة جيوسياسية من جهات فاعلة حكومية وغير حكومية تسعى إلى إرساء نظام إقليمي جديد، يضم بشكل رئيسي حزب الله اللبناني، وحماس في قطاع غزة، والحوثيين في اليمن، وسوريا، والعديد من الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران في العراق. بالاعتماد على بحث نوعي معمق باللغتين العبرية والعربية، ومقابلات حصرية مع مسؤولين إسرائيليين كبار، يقدم كتاب "محور المقاومة" أول تحليل شامل لتطور "المحور" وتطبيقه لنهج استراتيجي متميز في التعامل مع **النزاعات غير المتكافئة، ألا وهو "المقاومة".** ويبين الكاتب سوبلمان أن قوى "المقاومة"

المختلفة في المنطقة **انتهجت استراتيجية ردع غير متكافئة**، تعود أصولها إلى الصراع بين إسرائيل وحزب الله في جنوب لبنان، **حيث يحاول الطرف الأضعف إخضاع الدولة الأقوى لـ "قواعد اللعبة" المحدودة.**

أولًا، ملخّص الإطار العام النظري لـ "الاستراتيجية غير المتكافئة"

تقدّم الورقة في هذا الإطار المباني التأسيسية العامة لـ "الاستراتيجية غير المتكافئة" بشكل مبسّط وسلس لكن متين، ومترابط بطريقة منطقية ما يمكن أن يؤمّن للقارئ الصورة الكليّة للاستراتيجية كما طرحها الكاتب سوبلمان في كتابه. وجاءت كل العناوين المطروحة بالورقة خاصة فيها وليس بالكتاب، بما يتناسب مع الطرح.

المفهوم وعلاقته بالمقاومة

ينظر سوبلمان إلى "المقاومة" كاستراتيجية ردع. فهي بالإضافة إلى تمثيلها قيمة أيديولوجية ونظامًا إقليميًا بديلًا، أصبحت المقاومة تُمثل استراتيجية متماسكة، يتمثل عنصرها الرئيسي في الردع. في هذا الصدد، لا تعكس الجهات الفاعلة التي تتبنى أجندة المقاومة مجرد طموح لنظام إقليمي جديد؛ بل إنها تتبنى استراتيجية غير متكافئة معينة، يكون فيها الردع عنصرًا أساسيًا. ويستشهد الكاتب بتصريح للإمام الخامنئي عام 2019، يقول فيه: "هدف المقاومة هو الوصول إلى مرحلة الردع". ويرى سوبلمان أن الردع بالنسبة للمقاومة ليس استراتيجية تقليدية، بل استراتيجية ردع في صراع نشط غير متكافئ. ففي حين صُمم الردع التقليدي لمنع العنف، **صُممت المقاومة للسماح للطرف الأضعف بتحدي الطرف الأقوى دون عتبة التصعيد الكامل**. لذا، يسعى نهج المقاومة إلى حصر الصراع النشط في معايير محددة.

فالمعيار ليس في نفس عملية امتلاك القوة العسكرية، فقد تستطيع الجهة الأضعف تحديد "نقاط الضعف القابلة للاستغلال بدقة". فإذا تمكّنت من ذلك أو تمكّنت من استغلال نقطة ضعف واحدة على الأقل بنجاح قد تجعل الخصم "يتخلّى عن القتال أو يتوقّف". فكلمة "غير متكافئ" تعني **تجنّب نقاط القوة لدى الخصم، وتدور** الحروب "غير المتكافئة" أساسًا **حول مسألة الضعف النسبي.** وكما يعرّف كولين غراي الاستراتيجية، هي:

1. جسر يمكّن الأطراف من ربط الأغراض السياسية بالوسائل الّتي يمكن توفيرها بشكل معقول.
2. ترجمة القوّة القتاليّة التكتيكيّة الى نتائج مرغوبة.

أهمية الاستراتيجية

استراتيجيّة "الردع غير المتكافئ" تعمل كمضاعف للقوّة، وتثير الاهتمام بشكل خاص **عندما تكشف "أكثر ممّا نقدّره من خلال توزيع القوّة"، إذ** يمكن للقدرات العسكريّة المتواضعة المرتبطة **باستراتيجيّة متماسكة** أن تعوّض تأثير المعدات العسكرية المتفوّقة المرتبطة **باستراتيجية غير متماسكة.** ومن الضروري اتباع الأطراف الضعيفة استراتيجية متماسكة تعظّم تأثيرها الاستراتيجي، وتقلّل من تأثير الخصم الأقوى، **وتُفاقِم ضعفه السياسي.** أعلنها كيسنجر في سياق حرب فيتنام: "تنتصر حرب العصابات إن لم تخسر، ويخسر الجيش التقليدي إن لم ينتصر". فالعقيدة سبب للنصر على الأقل بقدر ما هو "التفوق في الموارد". وقدرة الطرف الأضعف كـ "كيان سياسي" على الردّ والمشاركة في التفاوض على وقف إطلاق النار تعادل النصر، وتضرّ النتيجة بالجانب الأقوى، وستجعله ضعيفًا سياسيًّا امام جماهيره، وتجعله، يخسر "حرب السرد".

آليات تجنّب الهزيمة

يجادل **أندرو ماك** أنه لتجنّب الهزيمة، يجب على الجهات الضعيفة الاحتفاظ "بحد أدنى من الحصانة"، أما للفوز فيجب: "استكمال الحصانة بالقدرة على فرض تراكم ثابت من التكاليف على خصمها". و**تقوم حجة ماك على ركيزتين:**

1. "قدرة الجهة الفاعلة الأضعف على تعزيز المرونة والقدرة على البقاء في مواجهة خصم متفوّق".
2. "القدرة على الاحتفاظ بقدرة متبقيّة على إلحاق الألم حتى بعد امتصاص الضربات". هاتان الركيزتان ينجم عنهما الناتج التالي: "الاستنزاف النهائي للقدرة السياسية للجانب الأقوى على القتال".

يؤكد سوبلمان على تطبيق استراتيجية غير مباشرة ضد الخصم الأقوى وعدم الذهاب إلى استراتيجية مباشرة ومواجهة "وجهًا لوجه" بما يؤمن: 1) تفادي مزايا الطرف الأقوى؛ 2) إطالة أمد القتال؛ 3) تفاقم الضعف السياسي لدى الخصم. كما يركز على ضرورة استغلال الطرف الأضعف ضعف الجهة الفاعلة القوية لخدمة "المساومة القسرية"، أي كوسيلة ضغط لإجبارها على الالتزام بـ "قواعد اللعبة المقيّدة". هذا يعني أنه في حال ردع الدولة لجماعات "إرهابية"، يمكن للدولة أن تردع الهجمات ذات النطاق "الأكبر" من خلال "السماح ضمنيًّا بهجمات أصغر نطاقًا، او هجمات من نوع معيّن". هذا يفضي إلى التالي:

- إذا كان بإمكان الطرف الأضعف تهديد خصمه استراتيجيًّا بهجمات أوسع نطاقًا، أي بمزيد من الألم في المستقبل مع الاحتفاظ بقدراته الأخرى كاحتياطي- كوسيلة ضغط للمساومة- فقد يميل الأقوى إلى تحمّل هجمات معيّنة دون حدّ معيّن.

وبالنتيجة، "يمكن للطرف الأضعف انتزاع تنازلات مقابل ضبط النفس، أو على العكس من ذلك، إجبار الطرف الأقوى على رفع حد التصعيد والسماح بسلوكيات كانت ستدفعه لولا ذلك إلى استخدام مزاياه". فالطرف الأضعف قد يكون قادرًا على تقليل ضعفه، وردع الجانب الأقوى عن إلحاق ضرر معيّن بسكانه، وذلك من خلال تغيير توازن الضعف عبر تقوية الجهاز العسكري بما يضمن بقاء قدراته العسكرية وقيادته وسيطرته. تاليًّا يضمن القدرة على شنّ الحرب مع تقليل التعرّض للتفاعلات، ما يمكّنه من: 1) النجاة من المواجهات الواسعة النطاق؛ 2) إلحاق ألم مستمر بالجانب الأقوى؛ 3) استغلال ضعف العدو السياسي؛ 4) التهديد بمزيد من الألم إذا تجاوز حدودًا معينة، ما يشكّل بمجموعه **ضمان قدرة مستدامة على توجيه ضربة ثانية.**

قواعد اللعبة

تنص قواعد اللعبة على وجوب تغيير الطرف الأضعف لتوازن الضعف، أي جعل الخصم الأقوى عرضة بشكل كافٍ لقدرات الأضعف.

متطلبات وديناميكيات قواعد اللعبة
المتغير المستقل لتوازن الضعف بين الجانبين

هل هناك تحول في ميزان الضعف؟

1. **إذا نعم:**
   هل الطرف الأضعف ضعيف؟
   a. **لا: يمكن للجانب الأضعف الرد، أي قواعد اللعبة متناظرة نسبيًّا.**
   b. **نعم: لا يمكن الرد، عدم التماثل صامد.**
2. **إذا لا:**
   يستخدم الطرف الأقوى مزايا غير متكافئة، أي أن عدم التماثل صامد.
   ما يعني إذا لم يغير الطرف الأضعف ميزان الضعف بشكل يجعل الخصم الأقوى تحت وقع تهديداته وقدراته، فإن الطرف الأقوى سيعمد إلى استمرار استخدام مزاياه المتفوقة. وهو مفصّل في النقطتين أدناه: 1 و2 أدناه.

هذا الجدول يفيد أنه في حال افتراض وجود خلل كبير في درجة الضعف المادي، عندها النزاع المسلح غير المقيّد لا يشكّل تهديدًا مميتًا إلا للجانب الأضعف، لأن الأقوى يمتلك قوة ساحقة. **ما ينجم عنه ان** "الدونية العسكرية والضعف المدني من نصيب الطرف الأضعف بشكل كبير ومستمر"، و"سيكون لدى الجانب الأضعف وسائل محدودة لحماية السكان والقيم المدنية بشكل مباشر فيما لو حاول الخصم أو قرر استهدافهم على نطاق واسع".

في المقابل، وضع الطرف الأقوى:

1. إذا كان محصّنًا في البعدين العسكري والمدني، لن يظهر دافعًا كبيرًا للالتزام بالقواعد المقيدة.
2. بدلًا من التسامح مع الهجمات، حتى لو مع احتكاك منخفض المستوى، سيفرض أسلوب عمل عدم التسامح مطلقًا، (Zero tolerance)، بالاعتماد على تفوقه اللامتماثل.

الخلاصة

- المطلوب من الجانب الأضعف تغيير ميزان الضعف لإدخال درجة من التماثل أو التناظر في صراع غير متكافئ بشكل حاد.
- **المعادلة:** تعتمد قواعد اللعبة على قدرة الجانب الأضعف على جعل الجانب الأقوى عرضة لقدراته العسكرية.
- **المقوّمات أو المتطلّبات:**

1. الجانب الأضعف قد لا يكون قادرًا أبدًا على حماية السكان والمدنيين.
2. تامين القدرة على إلحاق تكاليف انتقامية.
3. تسخير المرونة العسكرية في خدمة التأثير على حسابات الخصم.

- **المعادلة النهائية:**

القدرة على امتصاص الهجمات عسكرياً + القدرة على التهديد بشكل موثوق بإلحاق تكاليف بالجانب الأقوى=

منع الجانب الأقوى من اللجوء بشكل منهجي إلى مزاياه غير المتكافئة.

ثانيًا، الإطار العملي لنهج "الاستراتيجية غير المتكافئة" لدى حزب الله خلال جبهة الإسناد

يلخّص هذا الإطار الفصل الثاني من الكتاب بخصوص المرحلة الزمنية المرتبطة بجبهة الإسناد. استخرجت الورقة بعض العناوين المفتاحية في محاولة لتقديم رؤية واضحة حول الموضوع، كما عمدت لمراعاة التسلسل الزمني في المفتاح المعنوَن بـ "محطات مفصلية"، فأعادت ترتيب السياق الزمني وجمعت الأحداث وفق تسلسلها.

ينتهج المحور نهجًا استراتيجيًّا غير متكافئ مشابهًا من الناحية المفاهيمية، "المقاومة". وتتوزع **قواعد اللعبة أو قواعد الاشتراك فيها على مفردات**: حرب الإسناد، التدرج، حرب الاستنزاف التدريجي. فقد قام حزب الله بحرب استنزاف محدودة. و**المعادلة التي حكمت خلال طوفان الأقصى تقوم على ركنين:**

1. إبادة غزة تؤدي إلى تقويض محور المقاومة. والقضاء على حركة حماس بما يمثله من مكون مفتاح للمحور، له تداعيات على نموذج المقاومة في المنطقة. هذا ينجم عنه أن قوى المقاومة قابلة للسحق.
2. كلما ازداد تدمير حماس ازداد ضعف حزب الله.

استجابة المقاومة

- **ردة فعل المحور على حرب غزة:** عدم دخول المحور كله، عدم دخول إيران، عدم البدء بالحرب الإقليمية. هذه النقطة جوهرية بالنسبة للكاتب سوبلمان. يستشهد بمثال عن قائد الحرس الثوري محسن رضائي: تهرب من 14 محاولة استدراج من المحاور على قناة الجزيرة بعد الحرب بثلاثة أيام من الحرب على غزة، استدراج لاستخراج التزامًا منه حول مساعدة إيران لحماس مباشرة ولم يفلح.
- **حزب الله** بدل المواجهة المفتوحة، اختار حرب محدودة، استنزاف، تصعيد محدود وتدريجي، مقاربة خطوة بخطوة. بالمقابل، إسرائيل ألقت بكل الثقل على غزة، وحزب الله لم ينجح في ردعها.
- هدف حزب الله إلى تحييد المدنيين وحصر عملياته وفق القواعد والأنماط المشابهة لتلك التي ميزت الصراع لمدة طويلة. بحسب قواعد اللعبة، حزب الله اعتبر أن الجبهة الامامية ستعمل وفق تفاهم 1996 نيسان، التي حصرت الأعمال العدائية بالأهداف العسكرية.

محطات مفصلية

- 8 تشرين الأول: منع إزالة الخيمة/ردع حزب الله..، بدأت موجة عنف جديدة لكن بقيت محدودة ضمن قواعد اللعبة.
- أول خطاب للسيد حسن نصر الله في 3 تشرين الثاني 2023، تطرق إلى:
  1. المدنيين مقابل المدنيين
  2. التقييد حسب التطورات بغزة
  3. التصرف تجاه لبنان
- في شباط صرّح غالانت: "إذا حزب الله صعّد نصف درجة نحن سنصعد خطوة كاملة، لكنها خطوة ضمن عشرة".
- كلمة الحاج محمد رعد في آذار: "إذا إسرائيل تخلصت من قيودها لن نلاحظ أي خطوط حمر، والعالم وليس العدو فقط سيكتشف أنهم ليسوا في موقع تحدينا".
- آذار 2024، حتى هذا التاريخ، نفذ حزب الله 1200 ضربة من حزب الله وإسرائيل أبدت دقة أعلى وقبول بالمخاطرة مما افترض حزب الله.
- أول أربعة أشهر كان هناك التزام بالجنوب ضمن حدود وضوابط.

- الشهر الخامس: ثابت بالردع ايضًا. إصرار حزب الله على حرب الاستنزاف أصبح عاملًا في الخطاب الإسرائيلي حول فوائد وقف إطلاق نار سريع في غزة بما يهدّئ معه جبهة الشمال.
- خلال الشهور التالية أصبح هذا العامل أكثر إلحاحًا مع التصعيد التدريجي وإن كان تحت عتبة الحرب.
- مع الأشهر اللاحقة، ازدادت عدائية الكيان وتطورت بمعزل عن حزب الله وبقية المحاور. وأصبح واضحًا أن حزب الله هو الذي سيذهب بعيدًا من ضمن بقية أطراف المحور لمنع الكيان من متابعة الحرب ضد حماس.
- من منظور الردع أثناء الحرب، حرب الاستنزاف بين حزب الله والكيان عكست إلى أي درجة باتت الأطراف مردوعة من صراع مباشر أوسع، ناهيك عن التصعيد إلى الحرب الشاملة.
- على مدى 8 أشهر، مبادرات حزب الله المحدودة أعادت الطريقة لقواعد اللعبة بعدما كانت ممنوعة ومردوعة مثل الاغتيالات الجوية.
- الأصل الذي حمى لبنان أو الدرع ضعف وتمت المساومة عليه.
- لم يستطع حزب الله فرض تكاليف متبادلة خاصة أن هدفه الحرب الطويلة وتجنب الحرب الموسّعة.
- بدأ حزب الله بالتسامح بخسارات معتبرة ليحافظ على الصراع على مستوى مقبول. (الاغتيالات الجوية، الوفيات الكثيرة لحزب الله والقادة...).
- على الأقل أول 9 أشهر من الصراع، الطرفان أظهر مرارًا الإرادة والقدرة على عزل التصعيد في العنف وعدم التصعيد مباشرة.
- الردع الاستراتيجي أمّن الطريق لعدم استقرار تكتيكي محدود على الدرجات الدنيا في سلم التصعيد.
- تجنب حزب الله المدنيين لتجنب قصف بيروت والمدنيين وبقي التركيز على الأهداف العسكرية.
- من جانب آخر، إسرائيل تخلت عن قواعد اللعبة في سوريا عبر قصف غرف عمليات حزب الله في سوريا.
- بالنسبة لإسرائيل، اخلاء جبهة الشمال شكل تحدّيًا كبيرًا غير مسبوق.
- طوال تلك الفترة، رسائل الطرفين لا نريد الحرب الموسعة.
- حزب الله وصف الدينامية القائمة بأنها عتبات متحركة من التصعيد: مد وجزر في درجة التصعيد.
- على الرغم من تهديدات السيد نصر الله، التصعيد التدريجي بدأ. الردود التصعيدية بدأت لكن مع احتواء.

- جبهة الجنوب لم تكن لتنضبط بقواعد اللعبة السابقة.

تعقيدات أو تحديات المحور

1. هو ليس معسكر موحد متجانس، وإنما شبكة من الدول وغير الدول ذات المصالح والاهتمامات والقيود المشتركة جزئيًّا.
2. القرب الجغرافي لحزب الله مع الكيان جعله رأس الحربة.
3. انتشار الأسلحة الدقيقة جعل الكيان عرضة لهجومات محتملة على البنية التحتية، ومع الصواريخ الدقيقة لحزب الله من الممكن ان تشعر إسرائيل بالضغط لتطبيق قوة عسكرية مدمرة عل لبنان لمنع التكاليف المشابهة أو لجعلها تنعكس على حزب الله. (إعادة حزب الله إلى العصر الحجري)

تصريحات الردع التصعيدية

يستشهد سوبلمان بالكثير من تصريحات الردع المضخمة والمبالغة المرتبطة بتصورات كل طرف حول التهديد ويمكن أن ينجم عنه نسخة تقليدية من التدمير المتبادل المؤكّد. مثال، يذكر سوبلمان تحذير الأستاذ إبراهيم الأمين في جريدة الأخبار، ومضمونه: القوة النارية البعيدة المدى، لم تعد المعادلة العين بالعين، قتل آلاف اللبنانيين سيقابله حزب الله بقتل عشرات الآلاف من الإسرائيليين. كما تعرّض للاستشهاد ببعض تصريحات النائب الحاج محمد رعد.

من الظروف والعوامل المحيطة

1. "السلام" بشكل غير ملحوظ لم يمنع احتمال أن الحرب والمخاطرة الملموسة من التكاليف غير المقبولة لكل الجهات وبشكل أساس من الكيان، يمكن أن تخلق ميزانًا حساسًا من الرعب، ويعزّز ظروف مرحلة ممتدة من توازن الردع.
2. احتمال اضطرار إيران وواشنطن للتدخل في الصراع وإدارته.
3. الرد الإيراني على الكيان في 14 نيسان 2024، إثر قصف القنصلية في دمشق، كشف مدى التهديد الإيراني لإسرائيل، ومدى تنامي الردع الإيراني.
4. المحور قد يحرك الأردن والضفة، وليس الأخيرة فقط.
5. توازن القوى في المنطقة والنظام القائم. إيزنكوت: إيران أكثر الرابحين وحزب الله لا يدفع تكلفة ثقيلة. إيران باتت تشكل "تهديدًا وجوديًّا"، هكذا ركزت السردية العبرية. وهناك تحولات رئيسة في المنطقة ومن الممكن أن نشهد المزيد في حال تجاوزت إيران عتبة النووي.

صيف 2024: المجتمع الاستراتيجي الإسرائيلي يحذر أن إسرائيل باتت في مواجهة تهديد صاعد طارئ وجودي من إيران والمحور.
الناتج هو تفاقم عدم الواقعية في منطقة متقلبة وضعت كل الأطراف بطريق مشؤوم.

ثالثًا، كيف تفاعلت الاستراتيجية غير المتكافئة في حرب أيلول على لبنان؟

لم يتطرّق سوبلمان في كتابه "محور المقاومة"، الذي حوّل للمطبعة قبل التطورات التي لحقت بجبهة الإسناد والحرب على لبنان، إلى أسباب انحراف الاستراتيجية وتغيّر المعادلات التي وضعها وأسّس لها؛ نتيجة الانتهاء من العمل على الكتاب ما قبل الحرب الأخيرة على لبنان. يرتكز هذا الشقّ من الورقة على ما مرّ سابقًا في كتاب "محور المقاومة"، باعتبار ما يمثّله من محطة أولى في التحليل حول واقع المواجهة قبل معركة أولي البأس. ويتناول هذا العنوان بالتحليل المعركة باتجاهين: كيفية تعامل العدو في "خطة سهام الشمال"؛ وكيفية تعامل حزب الله بالمقابل. وتكشف هذه الكيفيات المتغيرات لدى الطرفين في الاستجابة للمباني النظرية للاستراتيجية.

بالعموم، منع العدو حزب الله من اللجوء بشكل منهجي إلى مزاياه غير المتكافئة من خلال القدرة على امتصاص الهجمات خلال معركة الإسناد والتكيف عسكريًّا مع التدرّج في التراكم النقطوي دون الحرب الموسعة، بالإضافة إلى موثوقية القدرة على التهديد بإلحاق تكاليف كبيرة ببنية المقاومة. فخلال الحرب، هدّد العدو تكرارًا المقاومة حتى وصل إلى نقطة تصديق التهديد وتنفيذه.

1. **آليات العمل في خطة سهام الشمال**
   - تطوير استراتيجية متماسكة
   - التحصين السياسي
   - تجنّب نقاط القوة لدى حزب الله
   - تكيّف العدو مع إطالة أمد الحرب
   - إحباط العدو لعملية تشغيل القدرة لدى المقاومة
   - القيام بعملية مباغتة ناجحة وواسعة
   - استغلال العدو لانتقال المقاومة إلى المبادرة الهجومية/ وهذه من خصائص الحرب، وليست من آليات العمل في خطة العدو

2. **آليات العمل في معركة أولي البأس**
   - عدم تجنّب المقاومة القدرة الكليّة للعدو
   - حفاظ المقاومة على إمكانية ردع نسبية للعدو

- الاعتماد على معادلات الردع السابقة
- عدم تطوير العمليات بما يتناسب مع الانتقال من الردع إلى التصعيد
- تجاهل سياقات إقليمية وعوامل مؤثرة

1. آليات العمل في خطة سهام الشمال

- **تطوير استراتيجية متماسكة:** وفق حسابات الميزان العسكري الإسرائيلي قبل الحرب الأخيرة، كان هناك إجماع داخل الكيان على قوة الكثافة النارية باتجاه الكيان حال نشوب أي حرب محتملة مع حزب الله. أضف إلى ذلك غليان الشارع الإسرائيلي بمشكلاته الداخلية المتعلقة بالفساد ومحاكمة نتنياهو وتحرير الأسرى. والنقطة الثالثة التي واجهت العدو في استراتيجيته العسكرية تمحورت حول قوة المقاومة المتنامية بعد كل جولة قتالية واتّساع قاعدتها الشعبية. شكّلت هذه النقاط الثلاث مجتمعة ركائز "هشّة" في "استراتيجية إسرائيلية غير متماسكة؛ عمل العدو على تقويتها وسدّ ثغراتها باستبدالها بأخرى متماسكة حتى يعوّض تأثير التفوّق العددي لصواريخ حزب الله ويتجاوز الضعف النسبي، ومما قام به: 1) تأمين الدعم والتسليح غير المسبوق؛ 2) المباغتة لتخفيف تأثير القدرات حال استخدامها؛ 3) محاولات الفصل بين المدنيين والبنى التحتية للدولة اللبنانية واستهداف حزب الله؛ 4) تعبئة الداخل دينيًّا باتجاه دعم الحرب الإسرائيلية "الدفاعية" عن الوجود. وكما قال سوبلمان: "يمكن للقدرات العسكريّة المتواضعة المرتبطة **باستراتيجيّة متماسكة** أن تعوّض تأثير المعدات العسكرية المتفوّقة المرتبطة **باستراتيجية غير متماسكة**".
- **التحصين السياسي:** تعدّ **نقطة الضعف السياسي** ثغرة محورية في ميزان الاستراتيجية غير المتكافئة؛ استدرك العدو أهمية العمل على ترميم هذه الثغرة خلال جبهة الإسناد، في سياق بناء استراتيجية متماسكة للتعامل مع صواريخ حزب الله الدقيقة. طوّر العدو قدرة الصمود وسدّ ثغراته السياسية عبر التعبئة الدينية للداخل والمبالغة بهدف التهديدات الخارجية، وغذّى تعبئة الشارع وتصويب الحقد والخوف بعيدًا عن مسؤولية مؤسساته في إخفاق 7 تشرين الأول وما بعده. وأعادت الحكومة تماسك الشارع الإسرائيلي حول المؤسسات السياسية والعسكرية والأمنية، وحصّنت جبهتها الداخلية منعًا من استثمارها من المقاومة، بالاستناد إلى موقف دفاعي يتعرض فيها الكيان لحرب وجود "حرب البقاء الثانية".
- **تجنّب نقاط القوة لدى حزب الله:** لطالما حكمت العقيدة الإسرائيلية هواجس القدرات الصاروخية لدى المقاومة والأسلحة الدقيقة بتداعياتها على ميزان القوى وكفّة أي حرب مستقبلية مع حزب الله. تدارك العدو أهمية تجنّب نقطة القوة هذه لدى

المقاومة، فلجأ منذ اللحظات الأولى إلى استهداف نقاط الثقل لديها وركّز على تقويض القدرات الصاروخية بغية تخفيف تأثيراتها وتقليص إمكانية تشغيلها.

- **تكيّف العدو مع إطالة أمد الحرب:** طبّق العدو عمليًّا في عملياته ما بعد طوفان الأقصى سواء في غزة أو في مواجهة جبهات الإسناد مرونة في التكيّف مع الحروب "الطويلة"، والتخلي عن عقيدة "الحروب القصيرة". استغل العدو امتلاك الكثافة النارية الجوية والواسعة النطاق بالاعتماد على التفوق الجوي وضرب القدرات الصاروخية في مواقعها واستهداف القادة والكوادر بما يرفع رصيد الإنجازات أمام الداخل ويقوّض التهديدات العسكرية المقابلة على الجبهة الداخلية، ما ينجم عنه تثبيت موقف الجبهة الداخلية من استمرار الحرب، والامتناع عن استهداف النطاق المدني بشكل واسع مماثل لما حصل في غزة.
- **إحباط العدو لعملية تشغيل القدرة لدى المقاومة**: في سياق العمل ضمن استراتيجية متماسكة، لجأ العدو إلى إحباط القدرات التشغيلية لدى المقاومة عبر استهداف القادة والكوادر وقطع سلسلة التواصل بين القيادة والعناصر التشغيلية؛ ما مثّل "نقطة تحول عسكري" لدى العدو إذ غيّرت موازين القوى وتجنّبت تداعيات الثقل العسكري الموجود لدى المقاومة، بل حوّلتها سلبيًّا باتجاهها.
- **القيام بعملية مباغتة ناجحة وواسعة:** أمنت عملية المباغتة قلب المعادلة العسكرية، قلص العدو بفضلها التهديدات العسكرية على الداخل الإسرائيلي؛ الامر الذي كان يشكّل الهاجس الأكبر لديه. والأهم أن عملية المباغتة ضمنت للعدو تراجع القدرة المستدامة لدى المقاومة على توجيه ضربة مكلفة للداخل الإسرائيلي.
- **استغلال العدو لانتقال المقاومة إلى المبادرة الهجومية:** وهي نقطة التحول العميق في نهج المقاومة ومثّلت نقطة ضعف استثمرها العدو لصالحه سواء في الداخل الإسرائيلي لزيادة الزخم "الدفاعي" ضد "هجوم" حزب الله، كما استثمرها في محاولة لعزل المقاومة عن بيئتها وخسرانها جزءاً من الدعم الوطني الذي حازت عليه في تموز 2006. لأول مرة قامت المقاومة بدور "هجومي" بدلًا من دورها المعتاد "الدفاعي"، ودخلت باستراتيجية مباشرة ومواجهة "وجهًا لوجه" ما دفع بالعدو إلى استخدام مزاياه وخصائصه المتفوقة في التكنولوجيا والاستخبارات، واستثمار الفرص في ترميم الضعف السياسي وتحصين موقف المؤسسة السياسية في الحرب.

2. آليات العمل في معركة أولي البأس

- **عدم تجنّب المقاومة القدرة الكليّة للعدو (سلبية):** عدم تجنب المقاومة القدرة الكلية للعدو نجمت عن انتقال المقاومة إلى المبادرة الهجومية والقيام بعمل جبهوي واسع وعميق التأثير في البنية الديموغرافية في الجليل.

- **حفاظ المقاومة على إمكانية ردع نسبية للعدو (إيجابية):** على مدى سنوات، فرضت المقاومة معادلات ردع يعترف بها العدو نفسه، ويقر بأن معادلات الردع كانت منذ حرب نيسان 1996. هذه المعادلات نمت ما بعد عدوان تموز 2006، فالقدرات العسكرية المتنامية للمقاومة غيّرت توازن الضعف أمام العدو الإسرائيلي. وعلى الرغم من إقدام العدو على تدمير سلسلة من المخازن والمنصات في اليوم الأول من الحرب، وتعطيل "قدرات" للمقاومة كانت تشكل تهديدًا واقعيًّا على الداخل الإسرائيلي، لكن في الاستراتيجية العسكرية، لا يمكن تجاوز "العنف الكامن"، وإغفال احتمال وجود قدرات مدّخرة قادرة على إلحاق الأذى بالعدو، خاصة مع عدم قدرة العمل الأمني والتكنولوجي على تغطية كل المجالات، ونقص بنك الأهداف. الأمر الذي قد يفسّر بجانب من الجوانب تحييد البنى التحتية والمدنية نسبيًّا وبشكل أفضل من الحروب السابقة، في سياق معادلة ردع نسبية فرضها رصيد المقاومة المتراكم على العدو.
- **الاعتماد على معادلات الردع السابقة:** اشتغل حزب الله وفق المعادلات السابقة بعد نيسان 1996 وتموز 2006، وحافظ على قواعد اللعبة، في وقت سمحت الاستراتيجية الجديدة للعدو بتجاوز المعادلات القائمة مع افتقار حزب الله إلى استراتيجية مقاومة متماسكة نتيجة الطابع الهجومي غير الدفاعي ما أضعف "مشروعية" الفعل المقاوم، وجعله عرضة للتجاذبات الداخلية.
- **عدم تطوير العمليات بما يتناسب مع الانتقال من الردع إلى التصعيد:** طوال أشهر، نجح الحزب في الحفاظ على الردع، لكن لاحقًا مع بدء تهاوي المعادلات مع الاغتيالات في الضاحية، وعدم ردع جبهات الإسناد للحرب في غزة، اتخذت الأعمال العسكرية مسارات تصعيدية اعتبرها الحزب "موجات مدّ وجزر"، لكن بالنسبة للكيان، كانت تسير بخط تصاعدي باتجاه لحظة التفجير للصراع في الوقت المناسب للإسرائيلي.
- **تجاهل سياقات إقليمية وعوامل مؤثرة:** منها تعقيدات المحور وما وفّرته من إمكانية الاستفراد بالجبهة اللبنانية؛ تصريحات الردع التصعيدية التي ساهمت بتشكّل إيحاءات التهديد الوجودي للكيان؛ ضرورة ضبط توازن القوى في المنطقة وتدفيع حزب الله، "رأس حربة" المحور، ثمنًا باهظًا مؤذيًّا.

خلاصة

أظهرت المقاومة خلال معركة أولي البأس قدرتها على التكيّف في الاستجابة للتغيرات الديناميكية التي ألحقها الكيان في مواجهة استراتيجية الردع غير المتكافئ التي فرضتها المقاومة على مدى عقدين ونيّف تقريبًا. استطاعت المقاومة خلال تلك المدة بناء الاستراتيجية التي أثبتت فعاليتها من خلال تنامي شبكة المقاومة وقدرتها على تمثيل قوة إقليمية صاعدة.

خلال معركة أولي البأس خضع طرفا الصراع إلى قواعد اللعبة إلى حدٍّ ما وبطريقة نسبية ومتفاوتة، كلّ من تموضعه السابق، بيد أنّ قواعد اللعبة انكسرت مع الاختلال في ميزان التأثير، وتغيّرِ الكفّة على حساب نقاط قوة المقاومة نتيجة المباغتة والخرق التكنولوجي. استثمرت المقاومة ما تملك من استراتيجية متماسكة في الاستجابة بمرونة للعبة الجديدة "غير المنضبطة القواعد" التي حاول العدو فرضها. استفادت المقاومة من عامل القدرة على امتصاص الضربات وتفادي تأثيرها مع القدرة على استمرار توجيه رسائل الإيلام بشروط المقاومة الزمانية والمكانية. حوّلت المقاومة المعركة إلى جولة في ضبط النفس وتحمّل الهجمات في سياق انتزاع تنازلات وضبط درجة العدوانية بما يحد من مزايا الطرف العدواني فيها. استراتيجية الردع غير المتكافئ نموذج تتكامل فيه آليات تغيير توازن الضعف من خلال تقليل التعرّض للتفاعلات واستمرار ضمان القدرة على شنّ الحرب، وإذ تشرّح الدراسة أعلاه آليات عمل كل من طرفي الصراع في حرب أيلول 2025، تتّضح الرؤية العملية للاستراتيجية من منظوري المقاومة والكيان المؤقّت بما يسمح ببلورة استراتيجية معدّلة تلحظ المتغيرات الأخيرة في استجابة العدو.